قبس من نور

كيف أفهم مشروعية الاحتفال بالمولد ؟

في ضوء الاحتفالات بالعالم والاحتفالات العالمية
لمركز الدعوة الإسلامية بمولد خير البرية ﷺ

تأليف

أيمن ياسر البكار

تقديم

إدارة الشؤون العربية

Arabic Department of Dawat-e-Islami

قبس من نور

كيف أفهم مشروعية الاحتفال بالمولد

في ضوء الاحتفالات بالعالم والاحتفالات العالمية لمركز الدعوة الإسلامية

بمولد خير البرية ﷺ

تأليف

أيمن ياسر البكار

اسم الرسالة

قبس من نور

تأليف

أيمن ياسر البكار

واتساب

٠٠٩٢٣١١٦٣٣٦٩٣٧

فاكس

٠٠٩٢٢١٣٤٩٢١٣٩٤

البريد الإليكتروني

arabicbooks@dawateislami.net

موقعنا على الإنترنيت

www.arabicdawateislami.net

الحمد لله العزيز الرحيم، المنعم الجواد الكريم، الذي منّ على خلقه بالنبي الأمين فقال: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، [آل عمران/١٦٤]

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الهادي إلى الصراط المستقيم، الداعي إلى الهدى والتقى وبرِّ الوالدين، الموصي بالعفاف والرضا وصلة الأقربين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرِّ الميامين أجمعين.

قبس من نور

ها قد أظلنا شهر ربيع الأنور، شهرٌ أشرق فيه ميلاد النبي الأزهر، المصطفى المجتبى خير البشر، في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول على القول الأشهر، وقد جرت العادة أن يحتفل المسلمون في كل عام في البوادي والحضر، في مختلف البلاد الإسلامية من شرقها إلى غربها، عربها وعجمها، فتقام المجالس، وتنشد القصائد، وتسرد السيرة، وتذكر الشمائل، وتقدم الموائد من الطعام والحلوى، وتسير المواكب والمسيرات

فرحًا بسيد السادات، وفخر الكائنات، سيدنا محمد ﷺ، وشكرًا لله تعالى على ما أنعم به وتفضّل.

وكما ذكر المؤرخون فإنّ هذه السنة الحسنة قد بدأت عند أهل السنة والجماعة في القرن السادس الهجري، وقد أثنى عليها العلماء، ومن هؤلاء المؤرخ الكبير الرحالة **محمد بن أحمد بن جُبير الكناني الأندلسي** الذي (ولد عام ٥٤٠ هجرية) ودخل مكة المكرمة في ٥٧٩ هـ وأقام فيها ثمانية أشهر، ووجد الناس يحتفلون بذكرى ميلاد النبي ﷺ حيث يقول (يفتح هذا المكان المبارك -أي منزل النبي ﷺ- ويدخله جميع الرجال للتبرّك به في كل يوم اثنين من شهر ربيع الأول ففي هذا اليوم وذاك الشهر ولد النبي ﷺ)[1].

قبس من نور

مما يدل على أنّ المسلمين كانوا يحتفلون بهذه المناسبة الكريمة، ومتعارف عليها في الحرمين الشريفين من قبل هذا التاريخ، وممن أثنى على هذه السنة المحدثة العلامة أبو شامة المقدسي شيخ الإمام النووي رحمهما الله تعالى حين قال: (وَمن أحسن مَا ابتدع فِي زَمَاننَا من هَذَا الْقَبِيل مَا كَانَ يفعل بِمَدِينَة

(١) رحلة ابن جبير .

أربل جبرها الله تَعَالَى كل عَام فِي الْيَوْم الْمُوَافق ليَوْم مولد النَّبِي ﷺ من الصَّدقَات وَالْمَعْرُوف وإظهار الزِّينَة وَالسُّرُور فإن ذَلِك مَعَ مَا فِيهِ من الإحسان إلى الْفُقَرَاء مشْعرٌ بمحبة النَّبِي ﷺ وتعظيمه وجلالته فِي قلب فَاعله، وشكرًا لله تَعَالَى على مَا من بِهِ من إيجاد رَسُوله الَّذِي أرْسلهُ رَحْمَة للْعَالمين ﷺ وعَلى جَمِيع الْمُرْسلين وَكَانَ أول من فعل ذَلِك بالموصل الشَّيْخ عمر بن مُحَمَّد الملا أحد الصَّالِحين الْمَشْهُورين وَبِه اقْتدى فِي ذَلِك صَاحب أربيل وَغَيره رَحِمهم الله تَعَالَى)[1].

وقد اعتنى العلماء الكبار والحفاظ العظام، بهذه المناسبة الكريمة، علماء عُرفوا في الأمة بالإمامة في العلم والعمل، وسعة الاطلاع في السنة الشريفة حفظًا ودراية، فصنَّفوا الكتب المختصرة للسيرة الطيبة، والشمائل العطرة، لتقرأ في مجالس الموالد المباركة، ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ: ابن الجوزي المحدث المشهور، والواعظ المعروف ابن دحية الكلبي، وابن الجزري إمام القراءات، وابن كثير الحافظ والمفسر، والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي صاحب

(١) الباعث على انكار البدع والحوادث .

الألفية في علوم الحديث، والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، والحافظ السخاوي، والعلامة السيوطي، والحافظ ابن حجر الهيتمي، والعلامة الفقيه الخطيب الشربيني، والحافظ البرزنجي، والعلامة أحمد الدرير، والعلامة المحبّ يوسف النبهاني، وغيرهم.

واستقر الأمر على هذه السُنة، وتلقتها الأمة بعلمائها بالقبول، وسارت الأمة على هذا الحال قرون، ولكن الشيطان وحزبه لن يترك المسلم على هذا الخير العظيم، فقد اتخذ عهدًا على نفسه بأن ينحرف الإنسان عن الصراط المستقيم، وأنْ يحتنكه إلى الجحيم، وأكثر ما يغيظه تلك العلاقة القوية، والرابطة المتينة، بين سيدنا النبي ﷺ وأمته، لهذا تجده يوسوس لك ليبعدك عن الاحتفال بذكرى مولده الشريف عليه الصلاة والسلام، فيُلبّسُ بكلامه على العوام، ويوهم أنه يدعو إلى خير، وهو بدعوته يوصل إلى الشر، كما قال ابن الجوزي: (إن الشَّيْطَان ليفتح للعبد تسعة وتسعين بابًا من الخير يريد به بابًا من الشر)[1].

قبس من نور

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص٥٦

ومن تلبيساته أنْ يقول:

- إنّ هذا الفعل بدعة لم يفعله سيدنا النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعون، وقد ورد أنّ: (كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار) النسائي (١٥٧٨) وغيره وورد أيضًا: (من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليسَ منهُ فَهوَ ردٌّ) مسلم (١٧١٨).
- أو يثير تساؤلات توصلك للتشكك والارتياب: هل هذا الاحتفال طاعة أم معصية؟، ثم إذا كان طاعة، فهل علمه النبي ﷺأم جهله؟ وإنْ كان علمه فهل بلغه أم كتمه؟ وإن بلغه فأعطنا الحديث؟

وقد يتشوش المستمع بهذا الكلام، ويظن أنها اعتراضات قوية، فالشيطان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (إنّ الشيطان فقيه غير رشيد) وهذه الوسوسة، لا وزن لها من الناحية العلمية، ولا تنطلي مغالطاتها على أهل العلم والفقه، وقد ورد في الأثر عن ابن عباس مرفوعًا: (فَقِيهٌ أَشَدّ عَلَى الشّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ)[1].

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨١)

وسنناقش هذين الاعتراضين، على ضوء ما قرره علماء أهل السنة والجماعة.

قوله في الوسوسة الأولى: (هذه أحداث مردودة وبدعة ضالة، وفعلٌ لم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة رضي الله عنهم):

والجواب: ينص الحديث الشريف **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** على أنَّ الإحداث في شريعة الإسلام مما ليس منها مردود، ويفهم منه أنّ ما أُحدث في شريعتنا مما هو منها فهو ليس بمردود، فهناك إحداثٌ مردود وهو ما ليس من الشريعة، وإحداثٌ مقبول وهو الذي يكون من الشريعة، يقول **ابن رجب الحنبلي في شرح الحديث**:

(فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين منه بريء...

ويقول: والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا)[1].

قبس من نور

(١) جامع العلوم والحكم الحديث الخامس ص٧٦

وشريعتنا أصولها المتفق عليها القرآن الكريم والسنة الشريفة والاجماع والقياس، (وهناك مصادر فرعية أخرى لا يجب العمل بها عند الجميع وكذلك لا ينكر فيها على من أخذ بها)، **فإذا ما كان المُحدَثُ مخالفًا لها فهذا ليس من الشريعة وهو مردود، وإنْ كان المحدث له أصل فيها فهو مقبول**، وليس معنى أنْ يكون للمحدث الجديد أصل في الشريعة أي أن يوجد نص يتكلم عن هذا المحدث تحديدًا، فلو كان هناك نص شرعي يتكلم عنه لما كان محدثًا، وإنما المراد بالأصل: أن يوجد نص عامٌ يمكن أنْ يندرج المحدث الجزئي في معانيه ومراميه.

كما **ذكر الإمام الشافعي**: (المحدثات ضربان ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه بدعة الضلال، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة)[1].

وقال **ابن حجر العسقلاني**: (والمحدثات بفتح الدال جمع محدثة والمراد بها ما أحدث، وليس له أصل في الشرع

(١) مناقب الشافعي للبيهقي.

ويسمى في عرف الشرع: «بدعة» وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة)[1].

فليس كل محدث بدعة وضلالة، بل البدع والمحدثات تنقسم إلى قسمين **بدعة ضلالة ومحدثة حسنة** (بدعة لغوية)، وهذا ما دل عليه كلام **الفاروق عمر** رضي الله عنه حين جمع الناس لصلاة التراويح فقال: (نعمت البدعة هذه) فكيف يقول هذه الكلمة والنبي ﷺ يقول (كُلُّ محدثةٍ بدعة، وكُلُّ بدعة ضلالة) **وعمر** رضي الله عنه من أفقه الصحابة؟

والجواب: أنهم كانوا أهل فهم صحيح، ولسان فصيح، يُمكنانهم من فهم كلام سيدنا النبي ﷺ، وليتضح الأمر دعونا نحلل النص: صحيح أنَّ لفظ (كلّ) يفيد العموم والشمول، مثلًا: إذا قال أستاذٌ لتلامذته (كلّ من كان اسمه خالد فليأتي إليّ) فهذا يعني أنْ يذهب إليه كل من كان اسمه خالد دون استثناء، لأن (كلّ) تعني العموم، ولكن قد تأتي جملة أخرى تخصص هذه الكلمة، وتستثني بعضًا ممن اسمه خالد، فلا

قبس من نور

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

تكون حينها شاملة للجميع، وهذا معلومٌ في أصول الفقه والاستنباط، فإنّ العموم يدخله التخصيص لأدنى قرينة.

ومثاله قوله تعالى (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) (الأحقاف٢٥) يفهم من هذه الآية أن الريح قد خرّبت ودمّرت كل شيء دون استثناء، ولكن في نفس الآية يقول الله تعالى (فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ) (الأحقاف٢٥) أي أن المساكن بقيت ولم تُخرّب ولم يشملها الدمار، وتكون كلمة (كل شيء) في الآية غير شاملة للمساكن، أي أنّ الريح دمرت كل شيء إلا مساكنهم فتكون هنا كلمة كلّ(لفظ عام دخله التخصيص) أي استثني من حكمها بعض الأفراد.

وكذلك قول سيدنا النبي ﷺ (كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) عام مخصص بقوله ﷺ (من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا)[1].

قبس من نور

(١) صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى .

فيكون معنى الحديث: كل محدثة بدعة إلا ما أُحدِثَ كسنَّة حسنة، وكيف نعرف أنَّ هذه سنة حسنة وإنها ليست ضلالة؟ يُعرف ذلك من خلال أمرين:

- **أنْ يكون لها أصل عام تندرج تحته.**
- **أنْ لا تخالف الشرع.**

فيكون معنى الأحاديث: كل محدثة لا أصل لها في الدين أو تخالف الشرع فهي بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل محدثة لها أصل في الدين ولا تخالف الشرع فهي حسنة.. وعليه كان قول **الفاروق عمر بن الخطاب** رضي الله عنه (نعمت البدعة هذه).

التلخيص الحبير ٢/٥١٥ إسناده حسن.

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: (يا بلالُ حَدِّثْنِي بأَرْجى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلامِ، فإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ).

قالَ: ما عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجى عِندِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، في ساعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ، إلّا صَلَّيْتُ بذلكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ). صحيح البخاري ١١٤٩

وهذا الفعل إحداث في الدين، وسنّ أمرٍ لم يرشد إليه الأمين ﷺ، والنبي ﷺ كان قد وضع قاعدة وهي: (كُلُّ محدثةٍ

بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة)، ولو جرينا على هذه القاعدة أنها تشمل كل محدث، لكان النبي ﷺ نبّه بلالًا إلى خطأه مثلًا (كيف تفعل هذا، ولم آمركم به أو أخبركم عنه؟ كيف تحدث هذا في أمرنا وشرعنا؟) ولكن الذي يُفهَمُ من الحديث أنْ سيدنا النبي ﷺ أقره على فعله وأثنى عليه، فهل كتم سيدنا النبي ﷺ بيان الحق أو سكت عنه؟ حاشا سيدنا ومولانا محمد ﷺ، فهذا مستحيل عقلًا، كما هو مقررٌ عند أهل السنة والجماعة.

اذًا فالمحدثات منها المذمومة ومنها المحمودة، قال **حجة الإسلام أبو حامد الغزالي**: (ليس كل ما أبدع منهيًّا عنه، بل المنهيّ عنه بدعة تضاد سنّة ثابتة وترفع أمرًا من الشرع)[1].

وقال **العلامة التفتازاني**: (ومن الجهل من يجعل كل أمر لم يكن في عهد الصحابة بدعة مذمومة)[2].

قبس من نور

(١)إحياء علوم الدين ص٤ج٢

(٢) شرح المقاصد. (٢٣٢/ ٥)

أمثلة مما أُحدثَ للناس وليس لها نص يدل عليها بعينه، ومنها ما لم يعمل به في القرون الأولى:

- **جمْع الصحابة رضي الله عنهم للمصحف**، بعد تردد فيه كون النبي ﷺ لم يفعله، ولكنهم اتفقوا بعد أن شرح الله صدورهم على أنه خير.
- **صلاة التراويح**: لم تكن في عصر النبوة على هذا الشكل المعروف عندنا، وإنما **سيدنا عمر** رضي الله عنه جمع الناس على إمام واحد لصلاتها في المسجد، وقال حينها: (نعمت البدعة هذه) والصحابة رضي الله عنهم من حولِه **أقرُّوه ولم يقولوا له أحدثت بدعة ضلالة تركها رسول الله ﷺأو لم يفعلها.**
- **إقامة مسابقات حفظ القرآن الكريم**، وإقامة حفلات تكريم الحفاظ.
- **تنقيط المصحف وتشكيله**: القرآن الكريم كلام الله وهو أساس الدين والشريعة، ولا يجوز الإضافة عليه أو التنقيص منه، وقد أحدث فيه النقط والتشكيل ولم يكن في عهد النبي ﷺولا الصحابة رضي الله عنهم،

لما فيه من خير ومنفعة للمسلمين عبر الأزمان، رغم عدم وجود دليل صريح بذلك، بمعنى أنه ليس لدينا نص شرعي يقول: (إذا تطور الأمر، ودخل الناس في الإسلام، وعسُرت قراءة القرآن عليكم، فاجعلوا النقط والحروف، أو فاتخذوا التدابير والوسائل المناسبة لحل هذه المشكلة) وإنما الأمر هو خير، ومستحسن لتسهيل التلاوة ومعرفة التعلُّم، ولا يخالف الشرع.

- **بناء القبب والمآذن للمساجد:** المساجد بيوت الله، ولم يعهد في القرون الأولى المآذن والقبب فيها، وقد أضافها المسلمون واستحسنوها لاحقًا.
- **صلاة التراويح وإضافة دعاء ختم القرآن فيها:** الصلاة عماد الدين، وأسُّ العبادات، والعبادات توقيفية، والأصل فيها الحظر، فلا يضاف فيها، ولا ينقص منها، ومع ذلك فإننا نجد أن أئمة المساجد في البلاد الإسلامية يذكرونه وبعضهم يطوّل فيه دون نكير!

- **الدعاء مطلقًا**: الدعاء هو لبّ العبادة، وقد ذكرنا أنَّ العبادات توقيفية، فلا تتغير ولا تتبدل، وإذا أردنا أن نطبق قاعدة كل محدث ضلالة، فإننا لن نستطيع أن ندعو بشيء لم يدعو به النبي ﷺ، ولا أن نطوّل الدعاء في التراويح أو القيام، ولم يُعهد عن النبي ﷺ أيضًا صلاة القيام جماعة بعد منتصف الليل كما هي في مساجد كثيرة اليوم والواقع أن المسلم يدعو بكل خير ديني أو دنيوي، ويصلي من النوافل ما يشاء ولا إنكار في هذا ولا تبديع.

والأمثلة كثيرة، وما أردت جمعها، ولكن ذكر ما يكفي لمستبصر باحث عن الحق، وهذه كلها مبتكرات محدثات لم تكن في عهد النبي ﷺ، ولكن لها أصل عام تندرج تحته، وكذلك الاحتفال والاعتناء والاهتمام بالمولد الشريف له أصول عامة يندرج تحتها.

وأما الوسوسة الثانية: مجموعة الأسئلة الغريبة (هل هو طاعة أم معصية؟ إن كان طاعة فهل علمها النبي ﷺ أم لا؟ وإنْ كان علمها، فهل بلغها أم لا؟ فإن كان بلغها فأين الدليل؟)

وهذه أيضًا مغالطة وجهالة، وبيان هذا أنّ الشريعة الإسلامية التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ تضمنت أوامر ونواه، غايتها ضبط حياة المسلم على الطريقة المثلى، التي ترضي رب العلى..

وهذا الأوامر تنقسم إلى قسمين:

الأول: أمرٌ طُلب فعله طلبًا جازما، ويسمى الفرض، وهذا يثاب فاعله ويعاقب تاركه.

والقسم الثاني: أمرٌ طُلب فعله طلبًا غير جازمٍ، ويسمى المندوب، وهذا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

وأما النواهي فهي أيضًا على قسمين:

الأول: نهيٌ عن فعل بطلب تركه طلبًا جازمًا، فهذا هو الحرام، يعاقب فاعله، ويثاب تاركه امثالا.

والثاني: نهيٌ عن فعل بطلب تركه طلبًا غير جازمٍ، فهذا هو المكروه، يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله.

وهناك أمور وأفعال سكتت عنها الشريعة، فهي المباحات التي لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب.

قبس من نور

جاء عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله ﷺقال: (إِنّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيّعُوهَا، وَحَدّ حُدُودًا فَلا تَعتدُوهَا، وَحَرّمَ أَشيَاءَ فَلا تَنتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَن أَشيَاءَ رَحمَةً لَكم مِن غَيرِ نِسيانٍ فَلا تَبحَثُوا عَنهَا)[1].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال :(الحَلالُ مَا أَحَلّ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَالحَرَامُ مَا حَرّمَ اللهُ فِي كِتَابِه، وَمَا سَكَتَ عَنهُ فَهوَ مِمّا عَفَا عَنهُ)[2].

والسؤال الذي ينبغي أن يكون: هل الاحتفال بالمولد عبادة أم معصية أم مباح؟ ونستطيع أنْ نقول أنه جائز ومباح، وكذلك على فرض أننا قلنا أنّ الاحتفال بالمولد الشريف مستحب ويثاب عليه المسلم، فلا يقال لنا: (هل علمه النبي ﷺأم لا، وهل بلغه أم لا) لأنّ الاحتفال فعلٌ من أفعال الخير، والنبي ﷺ لم يخبرنا بكل صور الخير في الدنيا، **مثاله**: الانفاق على إقامة مسابقات القرآن الكريم، واقامة الاحتفالات

قبس من نور

(١) رواه الدارقطني ٤/ ١٨٤ – البيهقي في الكبرى ١٠/ ١٢ .

(٢) رواه الترمذي ١٧٢٦ – وابن ماجه ٣٣٦٧ – والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٩ .

وتكريم الحافظين، بناء المدارس، والمستشفيات، وتعبيد الطرقات، فهذا كله خير ومظنة أنْ يثاب عليه المسلم، على الرغم من عدم وجود نصٍ شرعي يخبرنا عن هذا العمل، فهل نقول لمن يفعل ذلك : هذا بدعة وضلالة وعليكم أنْ تحضروا نصًا شرعيًا يتحدث حرفيًا عن إقامة المسابقة وحفلات القرآن الكريم، وفعل هذه الخيرات؟!!

فهذه الأعمال لها أصل عام تندرج تحته، وكذلك الاعتناء والاهتمام بالمولد الشريف له أصل عام يندرج تحته.

إذن الأحكام الشرعية هي الواجب والمندوب، والحرام والمكروه، والمباح، وهي ليست على نفس الدرجة من الإلزام والنتيجة.

قبس من نور

والأحكام الشرعية لا يجوز العبث بها أو تغييرها، فلا يجوز القول إنّ الخمر حلال، فهذا معارض لما حرمه الله سبحانه، ولا يجوز القول إنّ اللبن حرام، فهذا أيضا معارض لما أحله الله تعالى، فالحرام لا يحلل، والحلال لا يحرم، وكلاهما بنفس الدرجة من القبح والإفساد.

يقول الله سبحانه وتعالى (وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ) (النحل ١١٦).

والتحريم لا بد له من دليل، فأين النص الشرعي الذي يحرم أن نفرح بسيدنا النبي ﷺ ، وأين الدليل الذي يحرم علينا أن نجتمع في المسجد على ذكر الله، وسماع شمائل رسول الله، وإنشاد قصائد المديح؟ أليس هذا ما يحدث في الموالد، فما لكم كيف تحكمون؟!

الاحتفال بذكرى المولد الشريف:

الاحتفال لغة:

احتفلَ: احتفل بالشَّخص: أكرمه واهتمّ به، اجتمع لتكريمه.

احتفى: احتفى بفلان: بالغ في إكرامه وإظهار الفرح به.

فهو الإكرام، والاهتمام، وإظهار الفرح.

فهل يحرم على المسلم أن يهتم ويفرح بذكرى مولد النبي ﷺ؟ هل يمكن أن تتصور عقولنا ـ والعياذ بالله ـ أنَّ الله تعالى سيعاقبنا على تكريمنا واهتمامنا بذكرى مولد حبيبه وصفيه وخير خلقه ﷺ؟

الأدلة الشرعية والأصول العامة:

هناك نصوص شرعية، يمكن أنْ يندرج تحتها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ويكون بهذه الأدلة (سنة حسنة أو سمّها إن شئت بدعة لغوية)، ويكفي أيّ نصٍ منها ليكون دليلًا على الاحتفال بالمولد الشريف:

- يقول الله تعالى: (وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ) (سورة إبراهيم ٥) يوم ميلاد النبي ﷺ من أعظم أيام الله تعالى، فهو من أرسل رحمة للعالمين، والتذكير به ﷺ يكون بذكر سيرته

الطيبة، وشمائله العطرة، نثرًا وإنشادًا، في جمعٍ من الناس.

- يقول سبحانه: (قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ)، (يونس ٥٨)، ومن فضل الله علينا، ورحمته بنا أن جعلنا من أمة محمد ﷺ، ومن أهل الإسلام، والفرح مشروع في الإسلام، يفرح المسلم لأسباب دنيوية، والأعظم منها الفرح لأسباب دينية، وخير هذه الأسباب سيدنا محمد ﷺ.

- يقول سبحانه (وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج٧٧) إطعام الطعام خير، وإظهار الفرح بمولد النبي ﷺ خير، وجمع الناس وتذكيرهم بسيرته العطرة وسنته المطهرة خير.

- يقول جل وعلا: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ) (سورة هود١٢٠) إذا كان الله تعالى يقص على أفضل الأنبياء، وخير المرسلين، قصص وسير الرسل من قبله، تثبيتًا لفؤاده، أفلا نحتاج نحن إلى أن نحكي

ونتذاكر قصة وسيرة نبينا ﷺ، حتى نزداد ايمانًا وثباتًا. شمائله صفاته وأخلاقه وأحواله، وهذا مما يحدث في احتفالات المولد ومن مقاصده.

الاحتفال بالمولد الشريف عرفًا:

ما هو الاحتفال؟ وما الذي يحدث فيه من أفعال؟

- يجتمع المسلمون في مسجد أو صالة أو ساحة، بحضور أهل العلم والدعوة، يُفتتح الحفل بتلاوة شيء من القرآن الكريم، ثم تبدأ فرقة الإنشاد بمدح سيدنا النبي ﷺ والتغني بالقصائد الجميلة، ويذكر شيء من سيرته وشمائله ﷺ، فهل في هذا حرام أو منكر (معاذ الله) لنحلل الأمر بشكل أبسط: ما حكم هذه الأفعال؟
- اجتماع الناس في المسجد.
- تلاوة القرآن الكريم.
- إنشاد قصائد المديح في المصطفى ﷺ.
- تقديم درس في سيرة وشمائل النبي ﷺ للحضور.

كل هذه الأعمال مستحبة، ولها أجر عظيم، والأحاديث الواردة في فضلها كثيرة، فكيف يمكن أنْ تتحول هذه الأفعال المستحبة إلى بدعة وضلال وحرام؟ هل إذا فعلنا هذه الأمور بمناسبة ولادة المصطفى ﷺ تصبح حرامًا وضلالًا؟!! أم المتوقع أنْ يزداد ثوابها ويعظم أجرها.

الدليل الصحيح الصريح على الاهتمام والاعتناء بالمولد الشريف:

أعلمْ أخي هدانا الله وإياك إلى الحق أنْ الاهتمام والاعتناء بيوم مولد النبي ﷺ وارد في السنة الصحيحة، وقد احتفى النبي ﷺ بيوم مولده، وعظّمه وأكرمه، وإليك هذا الدليل:

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ فَقَالَ: (فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ)[1]. ويلاحظ هنا أمرين:

- خصَّ ﷺ يومًا بعبادة من أعظم العبادات وهي الصيام، صيام يوم بمناسبة أنه ولد في هذا اليوم، وهذا

(١) صحيح الإمام مسلم ١١٦٢.

الفعل يدل على اهتمام النبي ﷺ بيوم مولده واعتنائه به وإكرامه له واحتفائه به، ويُلاحظُ أنه عليه الصلاة والسلام لم يخصص أمرًا من أمور الدنيا لهذا اليوم (لم يُولم له، لم يهدي فيه، أو يُهدى) بل خصص له عبادةً، وجعل له جزء من دين الإسلام، فهل هناك أعظم من هذا الاهتمام والإكرام لهذا اليوم! وإنْ جاز تخصيص عبادة لهذا اليوم اعتناءً بالمناسبة، جاز المباح ضرورةً **ومن باب أولى.**

- جعل يومَ مولده مثلَ يوم بعثته، جعلهما سواء وعلى صعيد واحد، ولم يفرق بينهما، ومعلومٌ أنّ بدأ البعثة النبوية، بالرسالة الخاتمة المحمدية، هو أعظم يوم للبشرية، وقد ذكره النبي ﷺ مع يوم مولده، مما يدل وبشكل صريح أنّ يوم مولده ليس حدثًا من أحداث الدنيا، بل هو كيوم مبعثه في التعظيم والإكرام والإجلال والامتنان، فكلاهما من الشريعة والشعائر والدين.

- أنّ اعتناء سيدنا النبي ﷺ بيوم مولده، وإكرامه له لم يكن سنويًا ولا شهريًا بل كان أسبوعيًا، والأولى بالمسلمين أنْ يعتنوا بيوم الاثنين، وأنْ يخصّوه بمزيد إكرامٍ اتباعًا لسنة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، فهو لم يعامله كباقي الأيام، بل عامله معاملة خاصة، وعناية فائقة، فقد سئل عن علة صومه يوم الاثنين فقال: "ذلك يومٌ ولدت فيه".

فضله الكريم ومنزلته العظيمة ﷺ:

حديثنا السابق يقودنا لأن نتحدث عن شيء من فضائل وخصائص هذا النبي الكريم، وبيان شيء من أسباب اهتمام أهل السنة والجماعة بجزئيات وتفاصيل ومتعلقات الجناب النبوي الشريف.

وهي أنَّ الله تعالى خلق الخلق، وفضّل بعضهم على بعض، (فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ) (سورة المؤمنون:١٤) وأفضل الخلق سيدنا محمد ﷺ، حيث يقول ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة) صحيح الإمام مسلم رحمه الله ١٩٤ ويقول ﷺ: (...وما من نبيٍّ يَوْمَئِذٍ، ــ آدمُ فَمَن سِواهُ ــ إلا تَحْتَ لِوائِي، وأنا أَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ

عنه الأرضُ ولا فَخْرَ...) سنن الترمذي ٣١٤٨ ويقول ﷺ: (وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر..) أخرجه الترمذي (٣٦١٦)

حتى أن العلماء قالوا إنّ البقعة التي دفن فيها النبي ﷺ أفضل من السماوات السبع والعرش والكرسي والجنة.

قال الإمام القسطلاني: (وأجمعوا على أن الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض، حتى موضع الكعبة، كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض، بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضل من العرش، وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السماوات ولفظه: وأقول أنا وأفضل من بقاع السماوات أيضًا، ولم أر من تعرض لذلك، والذي اعتقده لو أنْ ذلك عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه)[1].

قبس من نور

(١) المواهب اللدنية ٦٠٢-٤. حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) ص٥٣-٤، حاشية العدوي ع لى كفاية الطالب الرباني ص ٤٦-٢

ورحم الله القائل:

وبقعتــه التــي ضمتــه حلقـًا

رياض من جـنان تســتطيل

وأفضـــل من ســمـــاوات وأرض

وأملاك بأفــلاك تجـــول

ومن عرش ومن جـــنات عدن

وفــردوس بها خير جـزيـل

وتكلّم ربنا سبحانه بكلامٍ أزلي قديم لا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثله، فقال تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨) وقال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) (هود: ١٣)

ومن كلامه القديم، في قرآنه الكريم، ثناؤه العظيم، على نبيه الكريم بقوله سبحانه: (بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة ١٢٨]. (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) [سورة النجم٢] (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ) [سورة النجم٣] (مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ) [سورة النجم١١] (مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ) [سورة النجم١٧] (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ) [سورة

الضحى٣] (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ) [سورة الضحى٥] (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) [سورة الشرح ١-٢] (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [سورة الشرح ٤] وربنا سبحانه قد أثنى ومدح نبيه فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم - ٤) وهنا عدة نقاط:

- أننا مهما مدحنا النبي ﷺ وأثنينا عليه وشكرناه وعظمناه، فلن يدنو مدحنا مما مدحه الله تعالى به، ولن يبلغ رتبة ثناء الله تعالى عليه، فمدحنا وثناؤنا قاصران عن أداء حقه، والوفاء بمنزلته وقدره، ورحم الله **الإمام البوصيري** الذي قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس لـــه
حـدٌّ فيعـــرب عنـه ناطـقٌ بفـم

- أننا مهما مدحنا النبي ﷺ وأثنينا عليه وعظّمناه فهو في غنى عنا، فمن نال هذه المنزلة من الثناء والإكرام

من الحق سبحانه، رب العالمين، فهو في غنى عن الخلق أجمعين.

- أنْ المنتفع بمدح المصطفى ﷺ وتعظِيمه هم المسلمون لموافقتهم لما يرضي الله تعالى ويحبه.

ما السر والخصوصية التي اختص الله بها نبيه ﷺ:

قبل أن نحاول الطواف بحمى الجناب المحمدي الشريف، ينبغي أن نؤكد أنه ليس لأحدٍ من الخلق أن يحيط بمنزلة هذا النبي الكريم، ولا أنْ يعرف قدره الفخيم، فلم يعرفْ حقَّ وقدْرَ سيدنا محمد ﷺ إلا ربّ محمد المولى الجليل سبحانه، وإنما هي محاولة للنظر في انعكاسات بعض أنوار هذه المعاني المصطفوية، والخصائص المحمدية.

أعظم خصوصية (صلاة الذات القدسية على الحضرة المحمدية):

يقول الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

يقول شيخ الإسلام، وسراج الأمة، الإمام المفسر، والعلامة المحدث **عبد الله سراج الدين** رحمه الله تعالى (يعلنُ اللهُ تعالى لعباده كلهم فضل هذا النبي الكريم ﷺ، وشرفَ منزلته وكرامته عنده، يعلن في الملأ الأعلى، وينزل هذا

الإعلان إلى عالم السماوات ثم عالم الأرض، فيدوّي هذا الإعلان في جميع الأكوان)[1].

فهي إعلام من الله تعالى بفضل النبي ﷺ، وبيان شرفه العظيم، وهي خصوصية لم يختص بها أحد من الأنبياء والمرسلين، ولم يأمر المؤمنين بالله تعالى بالصلاة على أحد من الأنبياء والمرسلين إلا سيدنا محمد ﷺ.

وصلاة الله تعالى على نبيه ﷺ كما قال العلماء هي رحمته ومغفرته وثناؤه عليه، وتشريفه له وتكريمه، وتفضيله له وتعظيمه، وهو نوعٌ خاص بسيدنا النبي ﷺ، ليس كالذي أكرم الله به عباده من الرحمة والمغفرة، أو حتى ما أكرم به أنبياءه من التشريف والإكرام والثناء، وللاقتراب من هذا المعنى، لنتأمل معًا في معاني الرحمة والمغفرة للعباد والتكريم والتشريف للأنبياء والمرسلين:

- أنْ يغفر الذنوب، ويتجاوز عن السيئات.
- وأعظم منها أنْ يجنبه الوقوع في الكبائر.
- وأعظم منها أنْ يوفّق إلى أداء الفرائض والعبادات.

قبس من نور

(١) الصلاة على النبي أحكامها وفضائلها وفوائدها.

- وأعظم منها أنْ يحفظه من الذنوب والمعاصي، وهذا مقام الأولياء الصالحين، فهم مع إمكانية الوقوع في المعاصي إلا أنْ الله يحفظهم منها، وهذه من أعلى مراتب التشريف، وأكمل مراتب التكريم.
- وأعظم مما سبق: أنْ يكون معصومًا نبيًا مرسلًا، فهو معصوم قطعًا من المعاصي، ولا احتمالية لوقوعه فيها، موفَّق لامتثال أمر الله على درجة من الكمال، وهو مشرّفٌ بالوحي الإلهي، مكرّمٌ بالرسالة والتبليغ، وهذا محض اصطفاء من الله تعالى وفضل.

والتساؤل الآن: ما هي الرحمة والمغفرة والثناء والتكريم والتشريف والتعظيم الذي خصَّ الله تعالى به نبيه محمد ﷺ؟ وما هي الخصوصية والسر في صلاة الله تعالى وملائكته على نبيه محمد ﷺ دون غيره؟

والجواب: أن الله تعالى قد اختص حبيبه ﷺ بالعبودية التامة، واصطفاه فكان الإنسان الكامل، والقدوة المثلى، والغاية العظمى، فالعبادة حق الله تعالى على خلقه، ولأجلها خلق الثقلين: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦).

ومن ذا الذي يستطيع أن يؤدّي لله حقه من العبودية والعبادة؟

إنه سيدنا محمد النبي الأمي ﷺ، فهو كان كما يحب اللهُ ويرضى، في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، وكيفما تقلب كان على أعلى درجة، وأكمل مرتبة في العبودية لله تعالى، وقد بين الله تعالى تلك الخصوصية، في قوله (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا) (الإسراء: ١)،

تأمل معي: إنّ السموات والأرضين وسائر المخلوقات مسيَّرةٌ بأمر الله على مراد الله جبرًا، ليس لها أن تخرج عنه قيد أنملة، قال تعالى: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ) (فصلت: ١١)، ولكن سيدنا النبي ﷺ وهو ذو اختيار وكسب أكثر طاعةً وتحققًا بالعبودية لله تعالى في كل أحواله وشؤونه منها.

وتأمل في الملائكة التي جبلت على الطاعة، وحالهم التسبيح، وذكر الله دائمًا يجري عليهم جري النفس يقول الله تعالى: (لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) (التحريم: ٦) ولكن سيدنا النبي ﷺ أكثر طاعة وتحققًا بالعبودية لله تعالى منهم في كل أحواله وشؤونه.

قبس من نور

إن أعظم الصفات، وأكمل الأحوال، وغاية وجود المخلوقات هي العبودية لله تعالى، وسيدنا النبي ﷺ أفضل الخلق، وأفضل من كل المخلوقات من كل وجه، فضرورة هو أفضلهم عبودية لله تعالى، فهو أفضل وأكثر تحققًا في العبودية لله تعالى من المسيّر والمخيّر والمجبول عليها، هو كاملٌ على محبة الله وكمال رضاه، ورحم الله **الإمام البوصيري** القائل:

فَهْوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ

ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ

فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

قبس من نور

وهذه منزلة لا تنبغي لأحدٍ من الخلق إلا واحد، واحدٌ لا شبيه له، ولا شريك له فيها، قال ﷺ: (سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو..) أخرجه مسلم (٣٨٤)، والوسيلة هي التي يُتقرب بها الخلق إلى الله تعالى، وهي الطريقة الموصلة للعباد إلى المولى الجليل سبحانه، فهو الحقيقة وكيفياتها والغاية وطرائقها، وهو ﷺ صاحب (المقام المحمود) الذي يتجلى للخلق يوم القيامة، فيتعرفون إلى منزلة هذا النبي الكريم ﷺ، قال الله تعالى: (عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا) (الإسراء: ٧٩).

فيوم القيامة عظيمةٌ أهواله، مخيفةٌ أحواله، فما من ملك مقرب ولا نبيٍ مرسل إلا ويقول: (اللّهُمَّ سلم، سلّم).

يوم القيامة، يوم الاستحقاق الإلهي، وحق الله تعالى على خلقه أنْ يؤدوا العبودية له كما ينبغي لجلاله، وعظيم شأنه، والكُلُّ عاجزٌ عن تحقيقها، والكُلُّ قاصرٌ عن إدراكها، إلا سيدنا محمد فإنه يسدُّ هذا المسدّ، ويحقق هذه الغاية، فالمقام ليس مقامهم، والحقيقة لم تتجلى بهم.

في ذلك اليوم العظيم يسعى الخلق إلى من يشفع لهم عند الله تعالى، المتجلي بالحق والقهر والانتقام، يذهبون إلى أفاضل النبيين، وأولي العزم من المرسلين، إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيعتذر جميعهم، ويقولون المقام ليس مقامنا، والغاية بتمامها وكمالها لم تتحقق بنا، فذلك المقام المحمود، الذي وعد الله حبيبه ﷺ إياه في قوله: (وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا)

(الإسراء: ٧٩).

ذلك المقام المحمود الذي لا ينبغي إلا لسيدنا محمد ﷺ الذي أخذ علينا العهد في عالم الأرواح بنصرته وتأييده، والسير على طريقه.

كما قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ) (آل عمران: ٨١).

فيقال للخلق اهرعوا إلى سيد الخلق وحبيب الحق، فيأتون سيدنا النبي ﷺ فيقول : أنا لها، أنا لها، كما في الحديث، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ

أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ)

فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا : لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ : هِيهْ فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا فَقَالَ لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولا مَا ذَكَرْتُهُ إِلا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ: (ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ

قبس من نور

تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)[1].

وكأن يوم القيامة ما هو إلا احتفال بالنبي، وبيانٌ لمنزلته، وشريف رتبته، وتكريم له وتعظيم.

ومن هنا يتضح لنا شيء من معاني كلمة التوحيد العظيمة (**لا إله إلا الله، محمد رسول الله**)ﷺ، فقد قرن سبحانه وتعالى اسمه باسمه، ولا يقبل من أحدٍ إيمانًا ما لم يؤمن به، وكأنّ هذه الكلمة العظيمة (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) تعني (لا معبود بحق إلا الله ولا عبد بحق إلا محمد رسول الله) ﷺ.

وكأن الله تعالى ما خلق الكون وما فيه إلا لأجل محمد ﷺ، كقول بعضهم: (لولاك، لولاك ما خلقت الأفلاك) وروى الحاكم في مستدركه وصححه: (لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه، قال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك

(١) رواه البخاري ٧٥١٠ .

ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك, فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك)[1].

وروى أيضًا عن ابن عباس قال: (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد، وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسكن)[2].

وهذا مصداق قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، والذي قام فيه هذا المعنى، وتحققت به هذه الغاية، هو سيدنا محمد ﷺ لا سواه، فهو غاية الله تعالى في الخلق.

قبس من نور

(١) الحاكم في المستدرك . 517 ج٣

(٢) المرجع السابق

مثال للتوضيح: مؤسسة تعليمية قررت إقامة مسابقة تحدي في بعض العلوم (الفيزياء، الرياضيات، الكيمياء)، وجعلت جوائز للعشرة الأوائل، (ألف دولار لكل واحد)، وجعلت جائزة عظيمة لصاحب المرتبة الأولى وهي: (قصر فخم، وسيارات فارهة، ومليون دولار) وتعلم المؤسسة أنه يوجد في هذه المدينة فقط مائة طالب يستطيعون المشاركة فيها لذكائهم وعلمهم، وتعلم أنّه يوجد طالب بينهم يتفوق على البقية بعشرة أضعاف، وبالتالي سيكون هو الفائز بالمرتبة الأولى، أضف إلى ذلك أنّ لدى المؤسسة حبة تضاعف القدرات العلمية والحفظية بمئة ضعف لمن تناولها، واختارت المؤسسة ذلك الشاب ليحصل عليها، فالنتيجة معروفة مسبقًا للمؤسسة، والفائز معروف، وكلّ ما في الأمر أنها تريد إقامة هذا السباق وهذا التكريم لإظهار الفائز والمستحق للمكافأة والذي تعلمه مسبقًا، وإكرام من دونه إنما هو تبعٌ له، فيكون الأمر أن المؤسسة ما أرادت بهذه المسابقة إلا تكريم فلان أمام الناس كلهم وإظهار قدْره، ومكانته المعلومة لديها.

وهو ما سيتضح للناس جليًا يوم القيامة، من مقام سيدنا النبي ﷺ، ومنزلته العظيمة، حيث ينزله الله تعالى منزله المقرب.

وعن رويفع بن ثابت، أن النبي ﷺ قال: (من قال: اللّٰهُمَّ صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة شفعت له)[1].

هو عبد الله الذي اختصه الله واصطفاه، وصلى ويصلي عليه، ويصلي عليه الملائكة والأنبياء والمرسلون والمؤمنون وسائر خلقه أجمعين، **عن جابر بن سمرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف حجرًا بمكة، كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن)[2].

وكما قال الله تعالى: (وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) [الإسراء: ٤٤]

وكذلك الصلاة والسلام على النبي ﷺ ما من شيء إلا يصلي ويسلم عليه.

فعن علي رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو

قبس من نور

(١) المعجم الكبير للطبراني .

(٢)رواه مسلم .

يقول: السلام عليك يا رسول الله)[1]. فهو النور القدسي والسر الساري في العالم السفلي والعلوي.

ولكن ما فائدة صلاة الملائكة والمؤمنين وسائر المخلوقات على الحبيب الأعظم ﷺ؟

هل هناك نفع للنبي ﷺ أو حاجة أو إضافة من صلاة المخلوقات عليه؟! وهل يتصور العقل شيئًا من هذا بعد أن صلى عليه رب العزة والجلال، الكبير المتعال.

أما حاجة سيدنا النبي ﷺ، وانتفاعه بشيء من الخلق من أي وجهٍ فمنتفي، فبعد أن صيّره الله حبيبًا، ومقربًا إليه وكريمًا، اصطفاءً من قبل أنْ يخلق أحد، فلا حاجة به إلى أحد.

نعم هناك حاجة ونفع، لكن ليس للجناب النبوي وإنما للمخلوقات، فهي المنتفعة بالصلاة عليه، والمحتاجة إلى إليه، والمتشرفة بالاصطباغ بها.

الصلاة والسلام على سيدنا النبي ﷺ، هي اصطفاء الله تعالى له، وإكرامه وتعظيمه وتوفيقه ليكون العبد الأوحد، المتحقق بالعبودية لله الأحد، البالغ فيها منتهى الحد.

قبس من نور

(١) رواه الترمذي .

الصلاة عليه من المخلوقات هو إعلانٌ منها بالتوافق مع الله تعالى في اصطفائه، وفي حكمة وجود خلقه، متمثلًا ذلك في حبيبه، الذي اختصه بذلك السر في الصلاة والسلام عليه، وكأننا نسعى للاصطباغ بها، والسير في طريقها، والاستمداد منها، فمن لم يوفقه الله تعالى إلى الإيمان والعبادة –كالمكلفين- فأنى له ذلك؟

ومن لم يجرِ الله عليه الطاعة والذكر جبلَّة -كالملائكة- فأنى له ذلك؟

ومن لم يأت طوعًا قهرًا –كالسموات والأرض ومن فيهن- فأنى له ذلك؟

كلهم على اختلاف أحوالهم، يستمد استقامته أو سيره على الاستقامة من السر الأعظم، والنور الأقدس، الذي اختص الله به سيدنا محمد ﷺ بالصلاة والسلام، فتجلى للوجود فكان الإنسان الكامل، اللّهُمَّ عُد علينا من هذا التوفيق، واسلك بنا هذا الطريق، فالله تعالى هو الغاية، وسيدنا محمد هو الوسيلة.

ومن هنا قال أهل العلم والتربية، من لم يكن له شيخٌ مربٍّ يهذِّب أخلاقه، ويزكّي نفسه، فليتخذ من الصلاة على النبي ﷺ مربٍّ ومزكٍّ، بأنْ يجعل نصيبه منها ألف مرة في اليوم، ومن زاد فقد استزاد من أعظم خير، لأن من يصلي على

النبي ﷺ فإنّ الله تعالى يصلي عليه، (من صلى عليَّ واحدةً صلى الله عليه عشرًا)[1].

فيخرجه من الظلام إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الضعف إلى القوة، ومن الذل إلى العزة، ويسلك به من النقص على طريق الكمال.

المخلوقات كلها تستمد من سر صلاة الله تعالى وسلامه على نبيه ﷺ، فتستوي في وجودها، وتستقيم في أداء وظيفتها، ولهذا قال أهل العلم والعرفان، إنّ أول من خلقَه اللهُ تعالى هو النور المحمدي.

قبس من نور

يقول الشيخ الفقيه والعلامة المفسر، إمام الدعاة، **الشيخ محمد متولي الشعراوي** (كان الله ولا شيء معه، وأراد أن يخلق الخلق، فهل يخلق الأدنى من هذه المخلوقات، ثم يجعل من هذا الأدنى أعلى المخلوقات؟ أم يكون المخلوق المباشر منه هو أرقى الأشياء؟

فعندما أراد الله أن يخلق الخلق خلقَ النور المحمدي وهو الكمال المباشر من الحق ومن النور المحمدي أخذت

(١) رواه مسلم .

الأشياء، إذن فسر كل الأشياء مأخوذ من النور المحمدي، فإذا رأيت في المخلوقات أي سر من الأسرار فأعلم أنّ العنصر الفعال منبعه منه ﷺ، لماذا؟ لأنه المباشر للحق مباشرة تامة..

فلا يقال إنّ الأرض خلقت ثم جاء منها الناس ثم جاء منهم الصفوة، فهذا لا يستقيم ، فالأصل أنّ الذي تشرّف بالنسبة إلى الله لا يكون الأدنى، وإنما يكون الأعلى، ثم يؤخذ منه الأدنى والأدنى وهكذا، فالذي نُسبَ أولا إلى الله أشرف الاشياء ثم أخذ منه، وليس الأدنى ثم صفي منه، ومن نور المصطفى أخذ كل مخلوق سره الفعال فيه، فالعين تأخذ سره الفعال منه المبصر، والأذن تأخذ سرها الفعال الذي يسمع، والأنف تأخذ سرها الفعال الذي يشم، وكل شيء في الوجود أخذ من نور المصطفى حقيقة ذلك السر، ومن الذي يستطيع إنْ يدرك ذلك، فهو أمر قديم لم نشهده، لا يدركه إلا من باشره واتصل به، مثل المادة التي لا يدرك سرها إلا من باشرها واتصل بها وقعد يحللها ليعرف عناصرها ودقائقها، ما العنصر الفعال وغير الفعال فيها، وخصائصها، فهذا يتطلب منك خلوة بالحضرة المحمدية، وهذا يتطلب منك أن تكون مؤهلًا، واذا دخلت الحضرة فينبغي أن تكون في تفاعل لتنكشف لك أسرار الحضرة المحمدية، فإذا انكشف لك منها، ثم نظرت إلى

أسرار الكون وجدت سيالًا خارجًا من حضرته الشريفة يسري في هذا الكون، فكل سر تراه في الأشياء منه ﷺ، ومعنى السر أي العنصر الفعال فيه، فكأنه كلها له أم وأصل هو النور المحمدي ﷺ..

النار، الماء، الطعام، الجبل بصلابته، كل شيء فيه سر منه ﷺ، كونه المخلوق الأول المنسوب تشريفًا إلى الله تعالى.

مثال: جئت بعجين وخميرة، ثم وضعت الخميرة في العجين، فإن الخميرة تنتشر في العجين كلها، فمهما أخذت قطعة من العجينة فإن فيها من الخميرة الأصيلة، وهي جعلته صالح للصنع، فكل قطعة من العجينة فيها من قطعة الخميرة الصغيرة، والعجين الذي لا تصله الخميرة يكون فاقد الحياة أصم غير قابل للصنع، فكل شيء تراه في الوجود يؤدي مهمته فاعلم أن خميرته ﷺ قد سرت به، ومعلوم أن كل شيء في الوجود له مهمة ووظيفة فتكون مأخوذة من سياله ﷺ... هذه الأمور لا تؤخذ بالعلم إنما بالمشاهدة.)

فكأن الكون ما كان ليستقيم وجوده في الخارج لقصوره عن التحقق في كمال العبودية لله تعالى، وهذا ليس عجزًا في الواجب سبحانه، وإنما عجزٌ في الممكنات، أي لعجز المخلوقات فإنّه أوجدها رحمةً وتفضلًا، أخذها عزة وانتقامًا

وجبروتًا، فاستقامت المخلوقات وأنار الأرض والسموات، بنور فخر الكائنات، حيث خصه الله تعالى دون الخلق كلهم بالتحيات والصلوات، ذلك السر الرباني، الذي أقام النور المحمدي، على صفة الكمال كما يحبُ ويرضى، فاستمدت منه الموجودات، وسرى نوره في البريات، فهو يشفع لها في وجودها واستمرارها.

وأخرج ابن أبي شيبة عن قتادة قال: كان النبي ﷺ إذا قرأ: وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال: «بدئ بي في الخلق، وكنت آخرهم في البعث»(١).

وروى ابن إسحاق عن قَتَادة مُرسلًا قال: قال رسول الله ﷺ «كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث»(٢).

عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إني عند الله في أُمِّ الكتاب لخَاتم النبيين، وإنَّ آدم لَمُنجَدِلٌ في طِينته)(٣).

قبس من نور

(١) الخصائص الكبرى ١/ ٩ والدر المنثور٧٣٢-١١

(٢)أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبو نعيم في "الدلائل"، والديلمي ، وابن عساكر ، من طريق قتادة ، كما في الدر المنثور ٧٣٢-١١

(٣)رواه أحمد في مسنده، وأبو نعيم في دلائل النبوة، وابن الجوزي في الوفا.

عن ميسرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، متى كنت نبيًا؟ قال (وآدم بين الروح والجسد)[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ (قال: وآدم بين الروح والجسد)[2].

نقل **النووي عن القاضي عياض** أن النبي ﷺ قال: (فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات).

وعن مقاتل أن قوله (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) إلى (ٱلْمُسَبِّحُونَ) نزل ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل فقال له النبيء: أهنا تفارقني فقال: لا أستطيع أن أتقدم عن مكاني، وأنزل الله حكاية عن قول الملائكة (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) [الصافات :١٦٤] الآيتين. تفسير ابن عاشور.

من رزق فهم هذه المقدمة سيفهم قول **البوصيري** رحمه الله تعالى:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ بهِ

سواك عند حلول الحادث العممِ

قبس من نور

(١)مسند أحمد، ابن الجوزي في الوفا .

(٢) رواه الترمذي .

وسيفهم قوله رحمه الله تعالى:

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علـم اللوح والقلمِ

وسيتفهم الاحتفالات التي تعم البلاد الإسلامية بمناسبة يوم المولد النبوي الشريف، ولنستعرض معًا أعمال مركز الدعوة الإسلامية احتفالاً بمولد خير البرية، ﷺ:

المسيرات والمواكب: تنطلق المسيرات والمواكب الجماهيرية مع بداية شهر ربيع الأنوار، وتستمر حتى اليوم الثاني عشر منه، ترفع فيها الرايات، ويردد فيها القصائد والمديح:

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأعْرَابِ والعَجَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

تحفهم الملائكة تشدو متناغمة مع المسير، تدنو منهم النجوم وكأنها على قدميها معهم تسير، وفي طليعة هذه المواكب والمسيرات، قمر مركز الدعوة الإسلامية، وشمس الهداية إلى السنة النبوية، الشيخ محمد إلياس القادري شيخ الطريقة العطّارية، يفرحون بميلاده، يبكون شوقًا إلى لقائه، وقد ورد في الآثار أن الصحابة الأخيار قد فعلوا مثلها إعلاء للحق وإغاظة للكفار:

فقد ذكر أبو نعيم في كتابه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،** قَالَ: سَأَلْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى

عَنْهُ: "لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيتَ الْفَارُوقَ؟ قَالَ: أَسْلَمَ حَمْزَةُ قَبْلِي بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلْإِسْلَامِ... قلت: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟، قَالَتْ أُخْتِي: هُوَ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا، فَأَتَيْتُ الدَّارَ... فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَكَبَّرَ أَهْلُ الدَّارِ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ»، قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الِاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا، وَأَنَا فِي الْآخَرِ، لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ، فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ الْفَارُوقَ، وَفَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ)[1].

وأخرج الحاكم في مستدركه (...عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ، عَنْ جَدِّهِ الْأَرْقَمِ، وَكَانَ بَدْرِيًّا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آوَى فِي دَارِهِ عِنْدَ الصَّفَا حَتَّى تَكَامَلُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .

مُسْلِمَيْنِ، وَكَانَ آخِرَهُمْ إِسْلَامًا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا كَانُوا أَرْبَعِينَ خَرَجُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ...)[1].

وفي الطبقات :... عن يحي بن عمران بن عثمان بن الأرقم قال: سمعت جدي عثمان بن الأرقم يقول: "أنا ابن سبعة في الإسلام، أسلم أبي سابع سبعة، وكانت داره بمكة على الصفا، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها أول الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام وأسلم فيها قوم كثير، وقال ليلة الاثنين فيها: (اللّٰهُمَّ أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام)، فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة فأسلم في دار الأرقم، وخرجوا منها فكبروا وطافوا البيت ظاهرين ودعيت دار الأرقم دار الإسلام...)[2].

فهذه المواكب العطّارية التي يسيرها مركز الدعوة الإسلامية، يتقدمها **الشيخ محمد إلياس العطار القادري**، ما هي إلا لونًا من ألوان التعبير بالفرح بذكرى مولد خير البرية،

قبس من نور

(١) المستدرك على الصحيحين قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ووافقه الذهبي .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد .

وللمسلم أنْ يفرح بسيدنا النبي ﷺ، وأنْ يعبر عن فرحه وحبه كيفما شاء شريطة أنْ لا يخالف الشرع، وأنْ لا يُخلّ بالآداب، فقد فعل مثلها الصحابة الكرام رضي الله عنهم اجمعين.

وتستمر هذه المسيرات حتى ليلة الثاني عشر من ربيع الأنور حيث يبدأ الحفل الرئيسي للمركز، في **المقر الرئيسي لمركز الدعوة الإسلامية في فيضان مدينة بكراتشي**، ويستمر الحفل حتى صلاة الفجر، يحضره آلاف المحبين، من مختلف الأماكن، يبدأ بالمسيرة النبوية الشريفة بعد صلاة العشاء، وينشد فيها المدائح والأناشيد النبوية، ثم يلقي الشيخ **الحاج عمران العطّاري** محاضرةً في شمائل النبي ﷺ وسيرته، وأهمية الاقتداء به عليه الصلاة والسلام، ويقدّم فيها الطعام والحلوى، وقُبيل الفجر حيث أشرقت الدنيا بأنوار ميلاد الحبيب، يقف الجميع وفي مقدمتهم **الشيخ محمد إلياس العطار القادري** والشيخ عمران يرددون وينشدون :

مرحبًا، مرحبًا، جد الحسنين مرحبا

مرحبًا، مرحبًا، يا نور العين مرحبًا،

ثم يختتم الحفل بالدعاء بالخير والبركة للأمة الإسلامية، ثم يعود الناس إلى بيوتهم وكأنهم نسمات ملائكة في الطرقات تسير، ونفحات عطر تملأ المكان بالعبير.

ينطلقون وكلهم أمل وهمة وعزيمة، للعودة إلى المركز لتعلم السنن النبوية، وبهذا يكون المركز قد حقق الغاية من الاحتفالية، بهداية الناس إلى سنن خير البرية، هذه الاحتفالات تعمّ فروع **مركز الدعوة الإسلامية** في البلاد الإسلامية والأوربية، ومع هذا فإننا مقصّرون وقاصرون عن أداء حق جناب الحضرة المحمدية، فهنيئًا لمن يوفّق للفرح بهذه الأيام، ويا سعد قومٍ بالنبي ﷺ فرحوا فهو خير الأنام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.